

الحلقة الثالثة

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

قايين وهاويل

تبين لنا في اللقائين السابقين ، أنه يجب علينا أن نقرأ أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس لكي نتعرف على الله الخالق ، وندرس الإعلانات والرموز والنبؤات التي أشارت إلى المخلص المسيح . وعدنا إلى سفر التكوين ، حيث تحدثنا عن خلق الله للإنسان . وعصيان الإنسان لوصية الله والنتائج التي ترتبت عن ذلك . وأهمها دخول الخطية حياة الإنسان ، والعقاب الذي حكم به الله عليه .

ثم تحدثنا عن الوعد الذي قدمه الله لإنقاذ الإنسان ، بأنه سيأتي من نسل المرأة من يسحق رأس الحية الشيطان . وتحقق هذا الوعد بمجيء المخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات .

نعود اليوم أيضا إلى فجر التاريخ ، أي إلى سفر التكوين لنتأمل بحادثة أخرى ، ولنكتشف إلى ما تشير إليه من معان ورموز . نقرأ أولا ما جاء على لسان الوحي عن تلك الحادثة : "وعرف آدم حواء إمرأته فحبلت وولدت قايين . وقالت إقتنيت رجلا من عند الرب . ثم عادت فولدت أخاه هاويل . وكان هاويل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض . وحدث بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب . وقدم هاويل أيضا من أبقار غنمه ومن سماتها . فنظر الرب إلى هاويل وقربانه ، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر . " (تكوين ٤: ١-٥)

نلاحظ من هذه الحادثة أن الرب الإله لم يقبل قربان قايين ، بينما نظر إلى قربان هاويل (أي قبله) . ولعل السؤال البديهي هنا هو : لماذا لم يقبل الله قربان قايين بينما قبل قربان هاويل ؟

قد يفسر البعض أن السبب يعود لخصال حميدة تميز بها هاويل عن أخيه قايين . لكن نظرة فاحصة للأمر نكتشف أن السبب لا يعود إلى أسباب ذاتية ، لكن لسبب موضوعي هام ، وهو نوع القربان المقدم . لقد قدم قايين من أثمار الأرض ، إذ كان عاملا زراعيًا . بينما قدم هاويل الذي كان راعيا من أبقار غنمه ومن سماتها ، إذ كان راعيا . فهل هناك فرق عند الله بالنسبة لنوعية القربان المقدم له ؟ ولماذا ؟

لكي نجيب عن هذه التساؤلات علينا أن نعرف أولاً إلى ماذا يشير كل من قربان قايين وهابيل. تشير تقدمة أثمار الأرض إلى عمل الإنسان وجهده الخالص . فهو الذي كد وتعب ، وها هو يقدم لله نتيجة عمله وعرقه . بينما تشير تقدمة أبقار الغنم إلى إعتراف الإنسان بعجزه عن إرضاء الله ، وحاجته بالتالي إلى بديل أو إلى فدية تقربه من الله خالقه . وبتعبير آخر يقر الإنسان أن أعماله الصالحة لا ترضي الله .

إن تقديم قايين لأثمار الأرض يشير أيضاً ، إلى الإنسان الذي يحاول إرضاء الله عن طريق أعماله الصالحة . وكأن لاوجود لمشكلة الخطية والمعصية في كيانه ، التي تفصله عن الله خالقه . وفي المقابل تشير تقدمة هابيل لأبقار الغنم أيضاً ، إلى إعتراف الإنسان أنه خاطئ ومذنب . وأنه بحاجة إلى فدية أو كفارة ترفع آثامه وتمحوها ، وتزيل فاصل الخطية الذي يمنعه من التقرب من الله .

لهذا السبب بالذات قبل الله قربان هابيل ، بينما رفض تقدمة قايين . وما يؤكد لنا ذلك ما كتبه كاتب سفر العبرانيين الذي هو أحد أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس ، إذ كتب يقول :

" بالإيمان قدم هابيل ذبيحة لله أفضل من قايين. فيه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرايينه . وبه وإن مات يتكلم بعد . " (عبرانيين ١١: ٤) نلاحظ هنا أن قربان هابيل كان بحاجة إلى الإيمان ، الإيمان الذي يثق أن الله سيقبل قربانه . فالإيمان المقصود هنا ، هو أن هابيل تيقن أن هذه التقدمة سترضي الله ، وتقربه منه . ونلاحظ أيضاً أن قربان هابيل كان عبارة عن ذبيحة سفكت فيها دماء أبقار الغنم . بينما خلا قربان قايين من أية ذبيحة . ولقد أكد كاتب سفر العبرانيين أهمية ذبيحة الدم للتكفير عن الخطية ، عندما كتب يقول : " وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة . " (عبرانيين ٩: ٢٢) فكان يجب على هابيل أن يقدم أبقار غنمه ، لكي يجد قبولا أمام الله.

لهذا وصف كاتب سفر العبرانيين كما لاحظنا ، تقدمة هابيل بأنها ذبيحة أفضل . لأن هابيل بتقديمه هذه الذبيحة إعترف وأقر أنها لا بد أن تكفر عن ذنوبه ، وتقربه من الله . هذا هو الفرق إذن بين قربان قايين وقربان هابيل . ولهذا قبل الله ذبيحة هابيل التي قدمها بإيمان صادق ، بينما رفض قربان قايين الذي كان من أثمار الأرض ، ولم يحتوي على أية ذبيحة .

لكن هل نحن مازلنا بحاجة في هذا العصر ، لكي نقدم الذبائح كما فعل هابيل ، حتى يرضى الله عنا ؟

نجيب بالطبع كلا ، والسبب ليس لأن الله غير رأيه ، بل لأنه قد أرسل من قدم نفسه ذبيحة من أجل ذنوبنا . أجل لقد أرسل الله كلمته الأزلي المخلص المسيح ، ليقدم جسده ذبيحة أي كفارة من أجل خطايانا . وها هو النبي أشعيا يتنبأ عن المخلص المسيح

وقبل مئات السنين من مجيئه ، فقال : " وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا .. كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامئة أمام جازيها فلم يفتح فاه . " (أشعيا ٥٣:٥٥ و٧ب) فكما ذكرنا في اللقاء الماضي إن المخلص المسيح أخذ دينونة آثامنا ، بموته الكفاري على الصليب . وهكذا جرح من أجل معاصينا ، وسحق من أجل آثامنا . وكشاة أي كخروف صار ذبيحة من أجلنا .

ولهذا هتف النبي يوحنا المعمدان - أي النبي يحيى - عندما رأى المسيح مقبلا إليه ، هتف قائلا : " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم . " (يوحنا ١:٢٩) وبذلك أكد يوحنا أن المخلص المسيح هو الخروف الذي سيرفع خطية العالم . يرفع خطية العالم عن طريق تقديم جسده ذبيحة ، بموته الكفاري على الصليب . أي أخذ المخلص المسيح بموته على الصليب دينونة ذنوبنا . وبذلك رفع العقاب الذي كان يجب أن يقع علينا . إذن إن عمل المخلص المسيح الفدائي على الصليب ، هو الذبيحة الحقيقية المقبولة اليوم أمام الله . وعندما يؤمن أي إنسان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري ، يقبله الله على أساس ذبيحة المسيح الكاملة . أي تماما كما آمن هابيل قديما أثناء تقديمه الذبيحة لله ، فقبله الله . ولهذا خاطب كاتب سفر العبرانيين المؤمنين بالمسيح قائلا : " بل قد أتيتم إلى وسيط العهد الجديد يسوع ، وإلى دم يتكلم أفضل من هابيل . " (عبرانيين ١٢:٢٤) إن المخلص المسيح إذن هو الذبيحة التي هيأها الله لنا جميعا نحن البشر الخاطئة . وهي بالطبع أفضل بكثير ، من الذبائح الحيوانية التي قدمها هابيل أو مؤمني العهد القديم . لابل إن تلك الذبائح كانت تشير وترمز إليه .

صديقي لا تقدر الأعمال الصالحة التي قد تقوم بها ، أو الفرائض التي تمارسها كالصلاة والصوم والذهاب إلى أماكن العبادة ، لا تقدر هذه جميعها التكفير عن خطاياك . وكما لم يقبل الله تقدمة قايين التي قدمها من أثمار الأرض ، أي نتيجة عمله وتعبه ، هكذا سيرفض الله تقدمتك هذه ، التي تأتي نتيجة أعمالك وجهودك الخاصة . بينما إذا أتيت صديقي إلى الله مؤمنا بالذبيحة التي أعدها لك ، فهو لا بد أن يقبلك ويمنحك الغفران عن ذنوبك . وبتعبير آخر عليك الإيمان بشخص المخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب ، لكي يقبلك الله . ولهذا كتب الرسول بولس قائلا : " إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله . متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح ، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه . " (رومية ٣:٢٣-٢٥أ)

أجل بإمكانك صديقي أن تحصل على قبول الله لك مجانا وبالإيمان فقط ، وبدون أي عمل تقوم به . فهل تراك تضع ثقتك الكاملة بالمخلص المسيح الذي قدم جسده ذبيحة من أجلك ؟